استطلاع صحفى

الأندية الأدبية في مصر

كازينو باب الخلق

لمندوب الرسالة

باب الخلق أو باب الخرق كما يسمى فى الخطط القديمة ، ميدان يقع من القاهرة فى الصميم ، وكأن الحكومة رأت فيه هذا المعنى . فأقامت به دار المحافظة لتكون فى الوسط لكل مواقع المدينة يخترق شارع محمد على ، وهو مجاز المواكب الرسمية والعسكرية بين القلعة والعتبة ، والقلعة والعباسية ، والقلعة وعابدين . ويمر به الطريق الواصل بين الحسين والسيدة والإمام ، فما تكاد تنقطع منه جموع القرويين الذين جاءوا إلى مصر يوفون بالنذر لأهل البيت ، ويستعطفون الأسياد بالنظرة . وفيه تقوم دار الكتب المصرية وهى كعبة يحج إليها طلاب الثقافة والمعرفة من أبناء الأزهر ، وشباب الجامعة ، وتلاميذ المدارس ، ومن فى نفسهم الرغبة فى الأدب والعلم من مختلف الهيئات وشتى الجهات ...

وكأن وجود دار الكتب فى هذا الحى هو الذى صبغه من قديم بالصبغة الأدبية ، وجعله مهوى كثير من الشعراء والأدباء والصحافيين ، وكم لهم فى هذا الحى من سهرات عامرة ، ومجالس حافلة ، وذكريات كلها البهاء والرواء ، والأدب والشعر ، والضاحيك الحلوة الخالدة ، وناهيك بضاحيك حافظ ونسيم وإمام العبد وصاحب « الصاعقة » ومنشئ « الحارة » وإخوانهم من الذين ذهبوا فى الذاهبين ، أو تخلفوا إلى حين !

فى هذا الميدان الأدبى العامر ، وفى المثلث الحادث من تقاطع شارع محمد على بدرب الجماميز وأمام جامع الجين الذى لا أعرف إلا اسمه ، يقع كازينو باب الخلق . ولهذا الكازينو تاريخ قديم ، وذكرى غابرة ، فكل ما فيه من مظاهر الأبهة ، فهو طريف مستحدث ، تقضى به العصر ، وتطور به الزمن ، عن أصل كان هو المظهر السائد فى مصر القديمة !

كان هذا الكازينو من قبل يسمى « قهوة باب الخلق » وكانت هذه القهوة بين غسق القرن الدابر ، وغلس القرن الحاضر ، نديًا من أندية الأدب فى مصر ، على ما يحكى الصحاف العجوز ، فكان يجلس فيها الشيخ أحمد مفتاح ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ الحلاوى ، ومحمود بك أبو النصر ، وحفنى بك ناصف ، والشيخ محمد الخضرى ، تحيط بهم نخبة من طلاب الأزهر ومدرسة المعلمين الناصرية – أى دار العلوم — فيأخذون فى أمشاج من أحاديث الأدب واللغة والدين والسياسة فى بعض الأحايين .

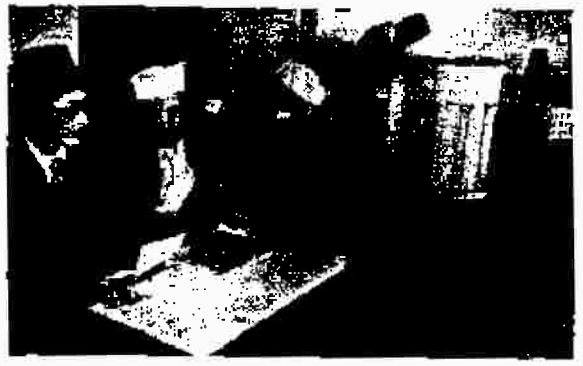

ثم فعلت الأيام ما فعلت وقامت دولة مكان دولة واحتل القهوة الشيخ محمود حسن زناتى ، والشيخ طه حسين ، والشيخ أحمد حسن الزيات ، والشيخ ابرهيم مصطفى ، ومن على شاكلتهم من تلاميذ المرصفى والمهدى والشنقيطى ممن تمردوا على حواشى الأزهر ومتونه وهوامشه ، فلما شب عمرد عن الطوق انصرف كل إلى شأنه فى الحياة وقد بقى فى نفسه شىء من تلك الحياة . أما الدكتور طه فسخر بماضيه وتمرد على إخوانه وراح ينعتهم « بأدباء باب الخلق » زراية عليهم وغضاً من شأنهم . وأما صديقنا الشيخ محمود زناتى فما زال يذكر تلك الأيام بالخير ، وما زال يشتهى فطير الجبن والعجوة الذى طالما تناوله من يد عم أحمد — هو وصاحبه طه — فى ذلك المكان . وأما أستاذنا الزيات فإذا ما سألته الخبر فى ذلك نظر إليك ساهما وهو يقول : تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . صحيح صحيح ! لقد كان ما كان !

ثم كان بين الغابر والحاضر فترة من الزمن للتحول والتطور ، فقد وفد على مصر وافد الرقى والحضارة ، وقامت فى رؤوس القوم النية فى تنسيق القاهرة وتجميلها ، وكان لا بد لباب الخلق من

أن يتسع فناؤه ويعلو شراعه وأن يصير إلى نظام أنيق يلائم روح العصر ، وكان لا بد أيضاً لقهوة باب الخلق أن تتطور وتتحور وأن تلبس لباس الجديد ، فأصبح اسمها الكازينو بدل القهوة ، وصار بناؤها من الزجاج الشفاف وقد كان قبل من حجر المقطم ، وغدت وهي في عصمة شاب مصري ناهض من صميم الريف وقد كان يقوم عليها تركي من الذين ابتلى الله بهم مصر حيناً من الدهر

واليوم يقوم الكازينو في باب الخلق نادياً أدبياً يقصده كثير من الأدباء والشعراء ورجال الصحافة والفن ، فتجد السيد حسن القاياتي يهبط عليه في الفينة بعد الفينة ؛ وإذ يجلس السيد القاياتي فإنما يحفل مجلسه بالأدب والشعر والرواية والتاريخ والمواليا والزجل ، وما ينفض المجلس إلا وقد تحمل الشيخ لحسابه ما ينوء به جيب الأديب . ولكن الله قد بارك في جيب الشيخ

وبين الحين والحين يعرج على الكازينو صديقنا الأستاذ الشاعر أحمد الزين وهو عائد من عمله في دار الكتب ، فإذا وجد موضعاً للحديث تحدث كعادته حديثاً شاملاً يتناول كل الأدباء والشعراء في مصر ، وإلا أخذ فنجاناً من القهوة وانصرف في صمت رهيب !

وفي ركن من الكازينو يجلس الأستاذ إسماعيل صبري الشاعر ومؤلف الأغاني لشركتي أوديون وبيضافون ، فيظل في مجلسه طول النهار وبعضاً من الليل منفرداً كأنه يستوحي شيطانه ويستلهم وجدانه . وفي ركن مقابل يجلس صديقنا الشيخ رفعت فتح الله في جمع من إخوانه يحقق رأياً لسيبويه ، أو يحدثهم فيما كان بينه وبين الرافعي من مناظرة ، على كركرة النارجيلة ولعب الشطرنج

ولما مات الهراوي رحمه الله ، انفض سامره في الحلمية ، ولم يتحمل إخوانه الجلوس حيث كان يجلس ، فجاء بعضهم إلى الكازينو ، فتجد الأستاذ مرتضى الخطاط يجلس ساهماً شارداً كأنه في غمرة من ذكر صاحبه

ويستبد بصدر الكازينو طائفة من شباب الأدب وفتيان العصر الذين أصيبوا بدائه وانطبعوا على غراره ، وما داؤهم إلا كما وصف ألفرد ده موسيه في اعترافاته ، فهم ينطلقون على سجيتهم ، ويستقبلون الحياة بروح يقظة طليقة متمردة على كل القوانين والحواجز ، وبهذه الروح الحرة يشدون الأدب ، وينظمون الشعر ، ويأخذون في النقد ، وإنهم لفي ثورة دائمة على الأدباء في مصر وفي الأقطار العربية ، ولقد ينقلبون بالثورة على أنفسهم ، كالنار تأكل نفسها إذا لم تجد ما تأكله ، ولكنهم يخلصون من هذا كله بالمرح والضحك والمزاح الصريح

تجد في هذه الحلقة من الشباب ، شاعر الفتوة والإذاعة أحمد فتحي ، وشاعر البؤس والشقاء المهدي مصطفى ، والشاعر البوهيمي طاهر أبو فاشا ، والشاعر النحوي الفقيه حسن جاد ، وشاعر البيت الأباظي أحمد عبد المجيد الغزالي ، والشاعر المقل أحمد مخيمر والأستاذ أحمد حمدي المحرر بالبلاغ والشيخ طه افندي حراز محرر مجلتي الراديو والبعكوكه ، والرفيقان عبد العليم عيسى والسيد علوش ؛ يجلس هؤلاء في حشد من إخوانهم وأضرابهم من طلاب كلية اللغة العربية والجامعة ودار العلوم ، فينفض كل منهم ما في جعبته ، ويتقدم بآخر ما أحدث في الأدب والشعر ، وما من يوم يمضي إلا ولهم حدث في الأدب والشعر ...

يعجبني في هؤلاء الفتيان ذوق دقيق ، وتقدير صحيح ، ونظر صائب في الحكم على الآثار الأدبية ، ووضع الأشخاص في مراتبهم اللائقة بهم ، فلا يجوز عليهم الزيف ، ولا تخدعهم الألقاب ، ولا تفرهم الأسماء ، بل إنهم لينظرون ، ويتندرون ، فكثير من أعلام الأدب في مصر ليسوا في رأيهم بشيء ، ولكل فيما يحاول مذهب !

لهم شغف بالاطلاع ، فما يخرج كتاب من المطبعة حتى يكون في أيديهم ، يقرأونه ويقدرون له قيمته ، وما أعرف بحثاً أو قصيداً نشر في صحيفة أو مجلة قد فاتهم الاطلاع عليه ، والنظر فيه ، فإذا لم يعجبهم كان بينهم مادة للهزء والضحك والمعارضة بالمثل !

ولهم غرام بترتيب المقالب ، ولكنها المقالب الأدبية ، كأن ينحلوا واحداً منهم قصيدة على صفحات الجرائد ، أو يسرقوا أشعار بعضهم المطوية ثم ينشروها بأسماء غير معروفة ، أو يوقعوا بين أديب وأديب فينشروا لأحدهما نقداً صارماً للآخر ، ولهم في إبريل كثير من الأكاذيب ، ولكنها من الكذب الأدبي المقبول . ولقد كان كذبهم في هذا العام من النوع الطريف

العجيب ، علموا بأن فلاناً الأديب قد أهدى إليه الشاعر إلياس أبو شبكة نسخة من ديوانه ، وما رأى أحدهما الآخر قط ، فراح هذا الأديب يفضل أبا شبكة على سائر الشعراء ، فتخيروا واحداً منهم يجيد حكاية اللهجة السورية ، واتصلوا بذلك الأديب في بيته ، وأخبروه بأن أبا شبكة قد حضر إلى مصر ، وأنه يرغب في زيارته فحدد لهم الموعد على لهفة ، وذهبوا إليه وكان ما كان من الإجلال والإكبار والاحترام ، وخرج القوم على موعد بالغداء في يوم آخر ... ولكنهم وقفوا في السخرية عند هذا الحد

حتى أساليبهم في الدعابة إنما هي أساليب أدبية ، كأن يقيموا لواحد منهم حفلة هجاء ، أو حفلة رثاء . وآخر ما حضرت لهم من ذلك « حفلة تكريم من غير مناسبة » للشاعر المهدي مصطفى . وقد اشترك فيها جميع إخوانه وأصدقائه ، وقام بتقديم الخطباء والشعراء الأديب الشاعر سيد قطب ، وقد استطاعوا أن يوفوا صاحبهم حقه من التكريم ، أو قل من التهليس . وقام هو أيضاً يرد صنيعهم بمطولة يقول فيها على طريقتهم :

يا قلب كالقبقاب حيرك الجما ل فتارة تدمى وأخرى تزجر
صبحاً برجل فهيمة ، وعشية في رجل سلمى والزمان مجرجر

إلى أن يقول لأصحابه :

أومكرمىَّ ؟ فشرتموا ! الله يكـ(م) رمنى ويعرف قيمتى ويقدر
ليست قصائدكم بمغنية الأديـ(م) ـب عن الفلوس إذا الجيوب تصفر
فتعلموا صوغ القروش فإنها تدر الكنيف مفتحاً فتصوروا

* * *

لقد كان ابن أبي ربيعة قائماً بالحجر يصلي بعد أن نسك ، فمر به فتيان جميلان ، فلما فرغ من صلاته أدركهما ثم قال لهما : يا ابني أخي ، لقد كنت موكلاً بالجمال أتبعه ؛ وقد رأيتكما فراقني جمالكما ، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

فيا إخواني في باب الخلق : إن البقاء في هذه الدنيا قليل ، والدهر يعدل تارة ويميل . فخذوا طريقكم ، وامضوا في سبيلكم ، واستمتعوا بشبابكم قبل أن تندموا عليه .

(م . ف . ع)

المرأة في حياة الأديب

(بقية المنشور على صفحة ٨٥٠)

يقوى عواطفه المختمة من حب وبغض الخ بالإيحاء وإن كان هو لا يشعر بذلك ولا يفطن إليه

فإذا كان لا بد من امرأة في حياة الأديب فهذه امرأة ، أفلا تكفي الأستاذ الحكيم ؟ . ولست بعد هذا « عدواً للمرأة » كالأستاذ توفيق إذا صح هذا عنه ، ولم يكن أكثر من إعلان على الطريقة الأمريكية – معذرة يا صاحبي – وأنا أنشدها أبداً ولا أرى الحياة تطيب ، أو يكون لها معنى إلا بها ، ولكني لا أطعمها في الحب المستغرق الآخذ بالكليتين ، لأنه لا قدرة لي على ذلك ، ولأني أشد اعتزازاً بحريتي وحرصاً على استقلال شخصيتي من أن أسمح بأن تتسرب نفسي في نفس أخرى أو تفنى فيها أو يجعلها عور وجودها . ولكل امرئ منا طباعه وفطرته ، وأنا في طباعي هذا التمرد الساكن الذي ليس فيه ضجة ، وتغليق الأبواب التي تجيء منها الريح لأستريح . ثم إنه لا ينبغي أن تكون في حياتي امرأة أو سواها لأكون أديباً على ما يحب الأستاذ توفيق ، وأنا قانع بنفسي ، جداً . ولست بعد ذلك بأديب وإنما أنا رجل صناعته القلم ، وقد قلت مرات – وأكرر الآن – إني كالنجار الذي فتح دكاناً وعرض فيه بضاعة له مما صنع فذاك رزقه يكسبه بهذه الوسيلة ، وكهذا النجار نجد عندي الخشب الجيد المتين ، والصنعة الدقيقة والخشب الأبيض والقشرة والصقل المغني عن النفاسة حسب الطلب وتبعاً لحالة السوق ومبلغ استعداد الزبائن للبذل . فضمني بالله حيث أضع نفسي واكفني شر هذه الفلسفات ، وإليك التحية وعليك السلام .

ابراهيم عبد القادر المازني

ليلى المريضة في العراق

كتاب يفصل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ، ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع وسرائر القلوب في مصر والشام والعراق .

يقع في ثلاثة أجزاء وثمن الجزء ١٢ قرشاً
ويطلب من المكتبات الشهيرة في البلاد العربية